حول الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم

إعداد الدكتور / أحمد السيد الحسيسي(*)

عربية القرآن الكريم :

اختار الله سبحانه وتعالى بحكمته وعلمه اللغة العربية لغة وبيانا لكتابه الخالد، لأن هذه اللغة فيها من مزايا التعبير والبيان مالم تحظ به لغة غيرها، ولن يسع كتاب الله غيرها، ولو كان في الوجود لغة تفضل اللغة العربية في الكشف عن دقائق البيان وأسرار التعبير، ما جاوزها القرآن إلى غيرها، ولكن نزوله باللغة العربية دليل قاطع على نفي هذا الاحتمال. فاللغة العربية أسمى اللغات على الإطلاق، والدليل أن عالم الغيب والشهادة ارتضاها أداة لوحيه المنزل على أكرم رسله محمد بن عبدالله ﷺ.

وعربية اللغة والبيان القرآني جاء النص عليها في مواضع متعددة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(1) وقوله ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(2) وفي قوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(3) وقوله ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ

(*) الأستاذ المشارك بكلية الآداب جامعة عين شمس، والمعار لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية.

(1) الآيتان (1 ، 2) من سورة يوسف.

(2) الآيات من (1 ـ 3) من سورة الزخرف.

(3) الآيات (192 ـ 195) من سورة الشعراء.

ءَايَـٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[١] وقوله ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[٢] وقوله ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[٤] وقوله ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[٥] وقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾[٦]

ونعرف أن لكل لغة سمات خاصة في بنائها التعبيري، الذي تتميز به عن غيرها من اللغات، شاء ذلك أهلها أو لم يشاءوا، فهم ينطلقون في البناء التعبيري خاضعين لمؤثرات البيئة بشتى ألوانها، من بيئة طبيعية إلى اجتماعية واقتصادية وسياسية وغير ذلك.

والمعروف أن اللغة لها خصائصها الفريدة وسماتها المميزة عن غيرها من اللغات، والتعبير العربي يحمل في طياته من الدقة والبراعة بحيث يختلف المعنى إذا قدمت أو أخرت كلمة عن أخرى، كما أنها تختلف عن غيرها من اللغات في تكوين الجملة نفسها كتقديم الفعل على الفاعل، والموصوف على الصفة، وغير ذلك مما يعرفه كل مُلم باللغة العربية وغيرها من اللغات الأجنبية.

(١) الآية (٣) من سورة فصلت.

(٢) الآية (٢٨) من سورة الزمر.

(٣) الآية (١٢) من سورة الأحقاف.

(٤) الآية (١١٣) من سورة طه.

(٥) الآية (١٠٣) من سورة النحل.

(٦) الآية (٧) من سورة الشورى.

وترجمة القرآن إلى لغة أخرى تذهب بإعجازه ويصبح شأنه شأن أي كتاب عادي مهما حوى من أحكام وفضائل وشرائع، فهو في النهاية يمكن مجاراته.

وقد تحدى الرسول ﷺ العرب قاطبة ـ وهم أهل البلاغة والبيان ـ أن يأتوا بسورة من مثله، وليس من الضروري أن يأتوا بمعاني القرآن نفسها وإنما في مثل القرآن، لأن التحدي لم يكن فيما يحويه القرآن من أحكام وشرائع ولكن لما يحويه من نظم بديع وتركيب بليغ، فإن أتوا بمثل نظمه من غير أن يكون صدقاً، فقد أفلحوا وأظهروا حجتهم.

والترجمة تذهب بهذا النظم البديع، وتفسد ذلك التركيب البليغ الذي تتميز به لغة القرآن ولنضرب لذلك مثلاً:

قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[1]

نجد الترجمة الفارسية نقلته بلفظه فتقول: «بس ما بركوش تاجند سالي برده بيهوشي زديم» أي فضربنا على آذانهم ستار الغفلة عدة سنوات وهذا غير مفهوم للمنقول إليه، إذ لا يفهم المقصود من الآية.

فالتصوير الذي نراه في الآية ويتمثل في الضرب على الآذان لا تستطيع الترجمة الحرفية أن تؤديه أو تفي به إلا بعد أن تفسد الصورة، وتشوه ملامحها.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[2]

فالمعنى الحرفي لقوله لم يخروا عليها صماً وعميانا: سقطوا سامعين

(١) الآية (١١) من سورة الكهف.

(٢) الآية (٧٣) من سورة الفرقان.

مبصرين لما أمروا به ونهوا عنه. ولكننا نجد الترجمة الفارسية عولت على ترجمة المعنى لكي تؤدي المعنى فتقول: «وآنان هستندكه هركاه متذكر آيات خداى خود شوند كر وكورانه درآن آيات ننكَرند تابر مقام معرفت وايمانشان بيفزايد».

نجد أن المترجم فسر المعنى وأضاف ألفاظاً من عنده لكي يتضح المعنى وهذه تعتبر ترجمة للمعنى وليست للفظ.

وهكذا لا يتكشف وجه الاعجاز الذي يقوم على الألفاظ ملائمة بعضها بعضاً.

بين اللغتين العربية والفارسية:

أما بالنسبة للغتين العربية والفارسية فإن بينهما صلات قديمة جداً ترجع إلى وقت دخول الإسلام إيران بعد أن أقبل كثير من الفرس على اعتناق الإسلام أحراراً مختارين، في غير ماإجبار أو اضطرار، لأن المظالم التي اصطلوا بنارها قبل الإسلام حببت إليهم أن يقبلوا على اعتناقه، فكفل لهم العرب حريتهم الدينية، وعاملوا أتباع الزرادشتية معاملة أهل الكتاب، فقبلوا منهم أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية.

وقد تسابق كثير من أهل فارس إلى تعلم اللغة العربية لغة الدين الذي آمن به كثير منهم، ولغة الفاتحين الذين يتصلون بهم، وسرعان ماأجادها بعضهم، وكانوا قدوة لمن بعدهم، حتى صار كثير من مشهوري الشعراء والكتاب والعلماء باللغة والدين من أبناء فارس. وكان من أثر القرآن على اللغة الفارسية أن فقدت اللغة الفارسية شخصيتها القديمة، وظهرت الفارسية الجديدة، وقد تشكل نصف معجمها. كما شكلت أساليبها وأوزانها من العربية، حتى صارت لساناً آخر غير اللغة السابقة على الإسلام وهي

اللغة البهلوية. وكذلك الأمر في اللغة التركية ولغة الأكراد وسائر لغات آسيا وافريقيا، فقد فقدت كل لغة من هذه اللغات أكثر خصائصها الجاهلية ودخلت في عربية القرآن. بحيث أنه لو أن أحداً أراد ـ مثلاً ـ أن يكتب شيئاً بالفارسية بحيث تكون كتابة خلوا من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الصلات القوية بين اللغتين العربية والفارسية، بل المقصود هو أن نبين أن هاتين اللغتين برغم تداخلهما القوي، فإن اللغة العربية تتميز عن الفارسية وغيرها من اللغات في بنائها التعبيري، ومن أبرز ما تتميز به اللغة العربية في تعبيرها عن اللغة الفارسية:

أولًا: أن الجملة في اللغة الفارسية تختلف في تركيبها عن الجملة في اللغة العربية فعلى الرغم من أن الجملة تنقسم إلى قسمين: اسمية وفعلية كما في العربية فإن الجملة الإسمية في اللغة الفارسية تزيد في تكوينها عن العربية جزءاً ثالثاً والرابطة التي تربط الجزئين الرئيسيين وهما المبتدأ والخبر، وتختلف هذه الرابطة باختلاف المبتدأ أو المسند إليه، وكذلك الحال بالنسبة للجملة الفعلية فهي تختلف مع العربية في ترتيب أجزائها، ففي العربية تبدأ الجملة الفعلية بالفعل في حين تنتهي الجملة الفعلية في الفارسية بالفعل، وهذا الاختلاف يجعل الترجمة تغييراً في المعنى، فلكل كلمة استخدامها في وضعها بالجملة إن كانت الكلمة مقدمة أو مؤخرة، فلكل كلمة مقامها الذي يتطلب استعمالها.

وعلى هذا النمط العربي نجد البيان القرآني في بنائه التعبيري يقدم الفعل إذا كان الحديث عن الفعل هو المهم أو المقصود بالحديث، وذلك نحو قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾(١). إذ المقصود الحديث

(١) الآية (١٢) من سورة المؤمنون.

عن خلق الإنسان وما ينطوي عليه من إعجاز، وليس المقصود الحديث عن الخالق.

وعلى هذا المسار التركيبي سار البناء في الآيات بعد ذلك فقال تعالى:
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾(١)

في حين نرى الترجمة الفارسية ـ كما قلنا ـ تنتهي بالفعل الذي هو المقصود من الحديث والذي هو في الأصل بداية الجملة فنرى الترجمة تقول: «وهمانا آدمي را ازكل خالص آفريديم(١٢) بس آنكاه نطفه كردانيد، ودرجاي استوار (صلب رحم) قرار داديم(١٣) آنكاه نطفه را علقه وعلقه را كوشت باره وباز آن كوشت را استخوان وسبس براستخوانها كوشت بوشانيديم بس ازآن خلقتي ديكر انشا نموديم آفرين برقدرت كامل بهترين آفريننده(١٤).

نجد الأفعال آفريديم، قرار داديم، بوشانيديم، انشانموديم. قد وضعت في نهاية الجمل.

ثانياً: ان الصيغ التي تدل على الفاعل في اللغة الفارسية إما أن تبنى على فاعل معلوم أو فاعل مجهول، وهي المعروفة بصيغة المبني للمعلوم والمبني للمجهول، أما في اللغة العربية فلا تقتصر في الحديث عن الفاعل على هاتين الصيغتين ولكنها تضيف صيغة ثالثة تلك هي صيغة الفعل المطاوع، فقولنا (انسكب الماء) يختلف في دلالته عن قولنا (سكب الطفل الماء) وعن قولنا (سُكب الماء) وذلك لأن التعبير الأول يقدم معنى لا تدل عليه دلالته

(١) الآيتان (١٣ ـ ١٤) من سورة المؤمنون.

الدقيقة صيغة من الصيغتين الأخيرتين، فقولنا (سكب الطفل الماء) يقال لمن يهمه أن يعرف من الذي سكب الماء، وقولنا (سُكب الماء) يقال كذلك لمن يقصد التعرف على الفاعل، لكنا نخبر عن ذلك الطريق إما بجهلنا بمن وقع منه الفعل، أو بعدم إرادتنا ذكره. أما حين نقول: (انسكب الماء) فإننا نوجه الحديث لمن يتوقع انسكاب الماء وينتظره، ولا يهمه أن يعرف ساكبه ولا عدم معرفته، ولا شك في أن الفارق كبير بين هذا وذاك وهذا الفارق الكبير يعين اللغة على الدقة في استيفاء وجوه الدلالة، حتى يتمكن بها من ملاحظة مقتضى الحال.

حقيقة توجد في اللغة الفارسية بضعة أفعال تسمى الأفعال ذوات الوجهين أي الأفعال التي تكون لازمة أو متعدية حسب سياق الجملة دون أن يتغير تركيبها مثل فعل شكستن، يختن، سوختن، كشودن، افروختن.

وهذه الأفعال قريبة في استخدامها من صيغة الفعل المطاوع في العربية، ولكنها قليلة من ناحية ولا تؤدي الغرض من الفعل المطاوع من ناحية أخرى وسنرى ذلك في بيان الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم في النموذج التالي.

وهذه إحدى مميزات اللغة العربية في بنائها عن غيرها من اللغات. وإذا نحن تأملنا آيات القرآن الكريم من هذا المنطلق وجدناه قد جمع بين هذه الصيغ الثلاث في بنائه التعبيري، ولأن الذي يعنينا ـ هنا ـ هو أن نقف على استيعاب البيان القرآني لكل مايميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات في البناء التركيبي، لاأرى مايدعونا لأن نطيل بذكر نماذج قرآنية لصيغة المبني للمعلوم والمبني للمجهول، فهذا واضح لايحتاج برهانا، إنما الذي يحتاج البيان هو الصيغة الثالثة (صيغة الفعل المطاوع)، وهذه الصيغة في القرآن لاتُقصد لذاتها، وإنما شأنها شأن كل الصيغ تأتي حين يتطلبها الموقف مؤدية

المطلوب، محققة المقصود. من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ ﴾(١)

ونرى الترجمة الفارسية تقول: «جه آنكه باره ازسنكها ست كه نهرهاى آب ازآن ميجوشد وبرخى ديكر سنكها بشكامذ وهم آب ازآن بيرون آيد».

فنجد الترجمة قد أتت بالفعلين في المبني للمعلوم وكأن الحجارة هي الفاعل، في حين أن الفعلان (يتفجر ويشقق) مضارعان، ماضيهما تفجر وتشقق وهما مطاوعان لفجر وشقق، فالحجارة لا يتأتى منها الفعل، ولكنها خاضعة تستجيب للقوة العليا حين تفجرها وتشققها بتجميع أسباب التفجير والتشقيق عليها.

فالآية الكريمة بذلك تلفت نظر المتأمل إلى ماوراء تلك الظواهر الطبيعية من قدرة الله ومشيئته دون أن يتصادم الظاهر مع الواقع الحق.

ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه وتعالى:

﴿ .. فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ .. ﴾(٢)

نجد الترجمة الفارسية تقول: «.. ودرباغ أو بادى آتش بار افتدهمه را بسوزاند» فجعلت الفعل متعدياً أي المعنى يكون فأصابها إعصار فيه نار فأحرقتها، وهذا لا يحقق المقصود بيانه من إتيان النار عليها لأن الإحراق يفيد حرق الكل كما يفيد احراق الجزء، فلما جاءت الآية على هذا أفادت أن الإحراق من النار وليس ذاتيا. وأن إحراق النار إياها شامل وليس إحراقاً جزئيا.

(١) الآية (٧٤) من سورة البقرة.

(٢) الآية (٢٦٦) من سورة البقرة.

ومنها أيضاً قوله : ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾[1] وانفجر مطاوع فجر .

ونرى الترجمة تقول : « بس دوازه جشمه آب ازآن سنك بيرون آمد » فالفعل هنا مبني للمعلوم وكأن عيون الماء هي الفاعل . بالإضافة إلى ركاكة المعنى إذ أن ترجمة الفعل هي (خرجت) بدلًا من (انفجرت) .

والآيات المشتملة على صيغة المطاوعة كثيرة ونجدها مختلفة في الترجمة فتارة يترجمها المترجم على أنها أفعال مبنية للمعلوم كما رأينا أو يتصرف في ترجمة تفسيرية لها تكون قريبة من المعنى .

ثالثاً : أن اللغة العربية تحرص على أن تستوفي أدوات الصفة وكافة شروطها ، وذلك أن الصفات لابد فيها من المطابقة بينها وبين الموصوفات كل المطابقة ، بخلاف الأسماء ، فليس ضرورياً فيها أن تطابق مسمياتها ، إذ الأسماء قد تكون توقيفية لا إرداة للمتكلم في وضعها وإطلاقها على مسمياتها ، وقد نطلق إسما على مسمى لأدنى ملابسة دون أن تكون هناك مطابقة بين الإسم ومسماه ، وذلك بأن نسمي الشيء باسم أرضه ، أو باسم صاحبه ، أو باسم حادث وقع عندما تعرفنا عليه ، أو باسم كاشفه ، إلى غير ذلك من الملابسات . وقد تكون الأسماء منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع تعديل فيها .

أما الصفات فلابد من أن تطابق موصوفاتها ، ومن ثم حرصت اللغات على أن تكون هناك مطابقة بين الصفة والموصوف ، لكنها لم تتمكن من استيفاء جميع أدوات الصفة وشروطها كما تمكنت منها اللغة العربية . فالصفة

---

(١) الآية (٦٠) من سورة البقرة .

في اللغة العربية تابعة للموصوف مطابقة له في الإفراد والتثنية والجمع، وفي التذكير والتأنيث، وفي التعريف والتنكير وفي مواقع الإعراب، وبتعبير آخر: الصفة العربية تطابق الموصوف في العدد وفي الجنس، وفي التحدد والشيوع، وفي الشكل العارض للفظ، أما في اللغات الأخرى فقد تجد فيها بعض تلك المتابعات لكنك لن تجدها جميعاً بقواعدها المطردة إلا في اللغة العربية.

وفي الفارسية تجد عكس ذلك تماماً فلا تطابق يذكر بين الصفة والموصوف لا في الإفراد والجمع ولا في التذكير والتأنيث ولا في التعريف والتنكير.

وهذا فرق جوهري بين اللغتين يظهر واضحاً في ترجمة كل آيات القرآن الكريم بحيث يصبح من العبث إيراد نماذج لبيان ذلك الاختلاف.

ومن ثم يتقرر أن البناء التعبيري في البيان القرآني لا يخرج على البناء التعبيري للغة العربية في قليل ولا في كثير، وإنما هو يسير وفق منهج العربية تماماً في بنائها.

وبالتالي فإن روح اللغة العربية بمعانيها وأخيلتها هي التي تسري في البيان القرآني في أرقى مدارجها وإمكاناتها، بحيث تتحقق بالقرآن المعجزة البيانية من خلال اللغة العربية التي اصطفاها الله سبحانه لينزل القرآن الكريم بها دون غيرها.

امكان ترجمة القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ـ وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ محلا لاختلاف الترجمات عليه في كثير من اللغات الأوربية وأيضاً اللغات الشرقية.

ولعلماء المسلمين رأي في ترجمة القرآن إلى غير العربية ، فالاجماع منعقد على عدم جواز ترجمة القرآن. أما الجائز فهو ترجمة معاني القرآن أو ترجمة تفسيره ، وقبل أن نعرض مادار بين المسلمين من خلاف حول ترجمة القرآن أود أن أشير إلى أقسام الترجمة إذا تنقسم الترجمة إلى قسمين : ترجمة حرفية وترجمة تفسيرية .

فالترجمة الحرفية هي التي يراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه ، فهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه ، وبعض الناس يسمى هذه الترجمة لفظية وبعضهم يسميها مساوية ، ويطلق عليها الإيرانيون «ترجمة تحت اللفظي» أي ترجمة حرفية .

والترجمة التفسيرية هي التي لا تراعى فيها تلك المحاكاة ، أي محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه ، بل المهم فيها حُسن تصوير المعاني والأغراض كاملة ، ولهذا تسمى أيضاً بالترجمة المعنوية ، وسميت تفسيرية لأن حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التفسير ، وما هي بتفسير كما سيتبين بعد ذلك .

فالذي يترجم ترجمة حرفية يقصد إلى كل كلمة في الأصل فيفهمها ثم يستبدل بها كلمة تساويها في اللغة الأخرى مع وضعها وإحلالها محلها ، وإن أدى ذلك إلى خفاء المعنى المراد من الأصل ، بسبب اختلاف اللغتين في موقع استعمال الكلام في المعاني المرادة إلفا واستحساناً .

أما الذي يترجم ترجمة تفسيرية ، فإنه يعمد إلى المعنى الذي يدل عليه تركيب الأصل فيفهمه ثم يصوغه في قالب يؤديه من اللغة الأخرى ، موافقاً لمراد الأصل ، من غير أن يكلف نفسه عناء الوقوف عند كل لفظة أو استبدال غيرها بها .

والأمثلة على الترجمة بنوعيها من آيات القرآن كثيرة، فمثلًا نجد أن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾(١)

قد ترجم في الفارسية إلى: «نه هركز دست خود محكم بسته دار ونه بسيار وكشاده داركه هركدام كنى بنكوهش وحسرت خواهى نشست» أي لا تربط يدك بإحكام ولا تجعلها ممدودة غاية المد، فإن تفعل ذلك ستقعد ملوما محسورا. أما عند الترجمة التفسيرية للآية فإنك تعمد إلى التعمق في فهم الآية، بالنهي عن التقتير والتبذير في أبشع صورة منفرة، ولا عليك من عدم رعاية الأصل في نظمه وترتيبه اللفظي.

أما عن موقف علماء المسلمين والأزهر من مسألة ترجمة القرآن فتتلخص في أنه في عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ثار جدال عنيف حول ترجمة القرآن بين الجواز والمنع وذلك بعد أن عني كثير من المستشرقين والمبشرين بنقل القرآن إلى كثير من اللغات الأجنبية بغرض التشنيع عليه والتشهير به، والدس له، واتخاذه في مدارسهم وكنائسهم مادة للنقد والتجريح، ولما دبّ النور والعرفان والثقافة والعلم في أنحاء مختلفة من الكرة الأرضية، وأصبح الناس يحاولون أن يتدارسوا الأديان والرسالات بأسلوب من البحث النزيه، والمنطق السديد، وكان فيما يرجون أن تصل دراستهم إليه «القرآن» على اعتبار أنه كتاب خالد شغل البشرية قُروناً عديدة، ظهر حينئذ في علماء المسلمين من نادى بضرورة تعريف هذا النفر به، عسى أن يكون ذلك باعثا لهم على الإيمان، حاملا لهم على الهداية، حافزا لهم على أن يكونوا من جنوده المحافظين عليه، الذائدين عنه، وكان من أولئك المسلمين شيخ الجامع الأزهر

(١) الآية (٢٩) من سورة الإسراء.

في ذلك الوقت وهو الشيخ محمد مصطفى المراغي، الذي تحمس لترجمته تحمساً منقطع النظير ونشر بحثاً عن ترجمة القرآن الكريم وأحكامها(١)، وقدم لهذا البحث بكلام للإمام الشاطبي في كتاب الموافقات يفيد أن اللغة العربية من حيث هي ألفاظ دالة، لها معنيان أوَّلي، وثانوي، فالأوَّلي كقيام زيد الذي لا يمكن أن تختلف في التعبير عنه لغة من اللغات، والثانوي ما يزيد على ذلك من الاهتمام بالقيام وحده، أو بالقائم، أو إجابة السائل، أو الرد على المنكر، أو غير ذلك من الأسرار البلاغية التي تقتضيك التعريف أو التنكير، والتقديم أو التأخير، وما شاكل ذلك من الأساليب التي توجبها الحال، وتحتمهاالمناسبة، فالمعاني الأولية لا يمكن أن تفسدها الترجمة، ولا أن يشوهها النقل، ولا أن تطول فيها مسافة الخلف بين اللفظ والمعنى، والمعاني الثانوية هي التي يتفاوت في دقة تصويرها، وروعة التعبير عنها، وجمال أسلوبها، فحول البلغاء، أو أساطين الكلام، كما تختلف في نقلها، وصوغ الألفاظ المعبرة عنها اللغات، وعلى هذا فالمعاني الأولية في القرآن يمكن ترجمتها إلى أية لغة من اللغات، وأما المعاني الثانوية فلا..، ونحن نعلم أن المعاني الأولية في أي كلام لا اعتبار لها، ولا ميزة فيها، وأن الاعتبار كله، والميزة البارزة، في الذي يسميه البلغاء بالمعاني الثانوية، وهي مجال الفحولة، ومناط الإعجاز.

وبعد حديث الشيخ في بحثه عن امكان ترجمة القرآن تعرض لشبُه الناس في الترجمة وتولى الرد عليهم، كما تحدث عن جواز الصلاة بالترجمة، وكذلك تحدث عن كتابة التراجم وقراءتها، والمراد من الترجمة وغير ذلك من الموضوعات التي لا داعي لذكرها هنا.

---

(١) انظر: الشيخ محمد مصطفى المراغي ـ بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها ـ القاهرة مطبعة الرغائب في ربيع الثاني ١٣٥٥هـ/يونيو ١٩٣٦م.

وكان من مؤيدي الشيخ المراغي الأستاذ محمد فريد وجدي، الذي كان في ذلك الوقت مديراً لمجلة الأزهر، وقد جمع الأستاذ فريد وجدي آراءه في بحث أكبر من بحث الشيخ المراغي ونشره بعنوان «الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية»(١) وأخرجه في ملحق العدد الثاني من مجلة الأزهر، وعني فيه بالرد على المعارضين وخاصة فضيلة الشيخ محمد سليمان، وفضيلة الشيخ محمد مصطفى الشاطر، وقد كتب على غلافه: ردود علمية على الذين يذهبون إلى عدم جواز ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، تصحيحاً للترجمات الموجودة وتدعيماً للدعوة الإسلامية، ودحضاً لجميع الشبهات التي يثيرها بعض الكتاب على هذا العمل الجليل وقد انتهى الأمر بعد طول النقاش والحوار إلى أن قررت مشيخة الأزهر وضع تفسير عربي دقيق تمهيداً لترجمته ترجمة دقيقة بواسطة لجنة فنية مختارة، واجتمعت لجنة التفسير بضع مرات برئاسة مفتي مصر في ذلك الوقت ووضعت دستوراً تلتزمه في عملها العظيم، ثم بعثت بهذا الدستور إلى كبار العلماء والجماعات الإسلامية في الأقطار الأخرى تستطلع آراءهم في هذا الدستور، رغبة منها في أن يخرج هذا التفسير العربي في صورة ما أجمع عليه الأئمة. ورأت اللجنة بعد ذلك أن تضع قواعد خاصة بالطريقة التي تتبعها في تفسير معاني القرآن الكريم، وقد خرج فعلًا إلى حيز الوجود هذا التفسير الذي سمى «المنتخب في تفسير القرآن الكريم» وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، وكتب في مقدمته مايفيد أنه تفسير مختصر محرر كتب بالعربية تمهيداً لترجمته إلى اللغات الأجنبية. وهذا العمل له فوائد كثيرة منها:

(١) انظر: محمد فريد وجدي ـ الأدلة العلمية على جواز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية ربيع الأول ١٣٥٥هـ/يونية ١٩٣٦م.

١ ـ وضع تفسير موجز باللغة العربية يسهل الرجوع إليه.

٢ ـ وجود نص القرآن بالعربية وتفسيره بالعربية أمام المسلمين الأجانب لتيسير معرفتهم بها، ثم وجود تفسير بلغتهم معتمد من لجنة علمية. وقد كتب الإيرانيون تفسيرا للقرآن طبع في هامش المصحف الشريف، وكذلك فعل الأفغانيون والباكستانيون.

٣ ـ تصحيح ما أسموه تراجم للقرآن في اللغات الأوربية، وبيان أوجه الخطأ فيه.

نماذج أخرى من الترجمة الفارسية:

ليس الغرض هنا عرض دراسة تفصيلية لترجمة معينة ـ فالمجال لا يسمح بذلك ـ ولكن الهدف من عرض هذه النماذج هو بيان القصور الواضح في المعاني المترجمة مما يوضح حاجتنا إلى ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم تسد النقص وتصحح الأخطاء.

وقد اعتمدت في عرضي لهذه النماذج على نسخة من الترجمة الفارسية للقرآن المطبوعة في طهران عام ١٣٦٦هـ بخط «حسن بن عبدالكريم هريس» وترجمة «الحاج شيخ مهدي الهرقمشه اى»، والنص مكتوب في الصفحة اليمنى والترجمة مطبوعة في الصفحة المقابلة، وهي بترتيب القرآن المطبوع في مصر، وقبل كل سورة يذكر اسم السورة ويبين إن كانت مكية أو مدنية وعدد آياتها، وللأسف توجد في النسخة أخطاء نتيجة الترجمة بالرغم من أن المترجم مسلم، فما بالك بمن يترجم القرآن من الأوربيين.

وإذا حاولنا تقييم هذه النسخة نقول بداية إنها ليست ترجمة حرفية وإنما هي ترجمة للمعنى كما سيتضح من النماذج. كما أن التراجم الفارسية بصفة عامة لا توجد فيها الأخطاء الجسيمة التي نصادفها في التراجم الأوربية التي

تعتبر القرآن كتاب ألفه محمد بن عبدالله ويحرفون فيه ويعتبرون أن له مصادر يهودية ونصرانية، ويتخبطون في الحديث عن التكرار في القرآن وعن ترتيب آياته، ويرجع ذلك إلى أن المترجم الإيراني شخص مسلم يؤمن بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولا وأن القرآن هو كتاب الله أنزله على عباده ليهديهم سواء السبيل.

وأول ملاحظة على هذه الترجمة أن المترجم لم يستطع أن يدلي برأي في فواتح السور، ففي أول سورة البقرة ترجم (ألم) «ازرموز قرآنست» أي من رموز القرآن، وفي أول سورة آل عمران ترجم (الم) «از حروف مقطعة اسرار قرآنست وهركس ان اطلاع ندارد» أي أنها حروف من أسرار القرآن ولا يعلم بها كل شخص، وفي أول سورة يونس ترجم (الر) «از اسرار وحي إلهي است» أي من أسرار الوحي الالهي، وفي أول سورة هود ترجم (الر) قائلًا: «اسرار ينحروف نزد خدا ورسول است» أي أن أسرار هذه الحروف عند الله والرسول. وفي أول سورة الرعد (الر) لم يترجمها ولم يكتب تفسيرا لها. وفي أول سورة مريم (كهيعص) قال: «اينحروف اسراريست ميان خدا ورسول» أي أن هذه الحروف اسرار بين الله والرسول ﷺ.

أما عن ترجمة الآيات فسنعرض بعض النماذج لنتبين ما تفعله الترجمة بالأصل من إضاعة للمعنى واختلاف في الترتيب وغير ذلك من أوجه الخلل. ففي سورة البقرة الآية رقم (٣٤) ونصها: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ نجد الترجمة تقول: «وجون كفتيم فرشكتان را كه سجده كنيد برآدم همه سجده كردند مكر شيطان كه ابا وتكبر كرد وازفرقه كافران كرديد» أي

عندما قلنا للملائكة اسجدوا على آدم سجدوا جميعاً إلا الشيطان الذي أبى وتكبر وأصبح من فرقة الكافرين.

وفي سورة القلم الآية رقم ٩ نصها: «ودوا لوتدهن فيدهنون» ترجمها بقوله: «كافران بسيار ومايليذ كه تو باآنها مداهنة ومداراكنى تاآنها هم بنفاق باتو مدارا كنند». أي أنه أضاف إليها من المعنى الذي فهمه فقال إن الكافرين يميلون إلى أن تداهنهم وتنافقهم حتى يعاملوك أيضاً بالنفاق والمكر. والآية ليس فيها مكر ولامداهنة ولا خداع ولكن المعنى المراد هو المرونة في الدعوة بمعنى التنازل عن بعض مايطالبهم به والتقابل معهم في منتصف الطريق كما يقال.

وفي سورة الماعون الآية رقم ٥ ونصها: «الذين هم عن صلاتهم ساهون» ترجمها: «... كه دل از ياد خدا غافل دارند» أي الذين يغفل قلبهم عن ذكر الله، فلم يذكر الصلاة في الآية وهي المقصودة، فالتهديد في الآية السابقة:

«فويل للمصلين» موجه لمن يسهو عن الصلاة ويتكاسل عنها ولا يؤديها أي تارك الصلاة.

وفي سورة البقرة الآية رقم (٧) ونصها: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» ترجمها بقوله: «قهر خدا بردلها وكوشهاى ايشان مهر نهاده وبر ديده هاشان بوده، افكنده كه فهم حقايق ومعارف الهى رانميكتد وايشان راست عذابي سخت». وواضح أن الترجمة فيها زيادة على النص، فيقول إن قهر الله قد ألقى على قلوبهم وآذانهم خاتما وألقى حجابا على أبصارهم فهم لا يفهمون الحقائق والمعارف الإلهية ولهم عذاب شديد. وفي سورة البقرة الآية رقم (١٨) ونصها: «صم بكم

عمي فهم لا يرجعون » ترجمها على النحو الآتي : آنان كر وكنك وكورند واز ضلالت خود بر نميكر دند» ونلاحظ الفرق الدقيق بين اللغتين والذي اتضح في الترجمة، فقد ترجم الفاء في (فهم) بالواو وهذا لا يعطي المعنى المراد لأن الفاء تفيد السببية والمعنى المستفاد من الآية أنهم لا يرجعون إلى الصواب ولا شك أن ذلك يخالف النص.

وبعد فهذه بعض نماذج مما وقع لنا في الترجمة الفارسية وهي كافية فيما أعتقد للقول بأنها تحتاج إلى فحص دقيق شامل فقد رأينا أنه يغير في ترتيب كلمات الآية ويترجم ما يفيد السببية بما يفقده معناها، ويترجم الجمع بالمفرد والماضي بالمضارع، ويغفل بعض أجزاء النص فلايترجمه ولا يشير إليه، ويضيف أحياناً إلى النص كلمات تفسيرية من عنده لتوضيح المعنى.